وبعضهم بالجبال وقرأ محمد بن الحنفية رضي ا تعالى عنه كالظلال وهو جمع ظلة أيضا كعلبة وعلاب وجفرة وجفار وإذا ظرف لقوله تعالى : دعوا أي دعوا ا مخلصين له الدين إذا غشيهم موج كالظلل وإنما فعلوا ذلك حينئذ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد .

فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد سالك القصد أي الطريق المستقيم لا يعدل عنه لغيره وأصله إستقامة الطريق ثم أطلق عليه مبالغة والمراد بالطريق المستقيم التوحيد مجازا فكأنه قيل : فمنهم مقيم على التوحيد وقول الحسن : أي مؤمن يعرف حق ا تعالى في هذه النعمة يرجع إلى هذا وقيل : مقتصد من الإقتصاد بمعنى التوسط والإعتدال .

والمراد حينئذ على ما قيل متوسط في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء موف بما عاهد عليه ا تعالى في البحر وتفسيره بموف بعهده مروى عن إبن عباس رضي ا تعالى عنهما ويدخل في هذا البعض على هذا المعنى عكرمة إبن أبي جهل فقد روى السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان فتح مكة أمر رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم الناس أن يكفوا عن قتل أهلها إلا أربعة نفر منهم قال : أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبدا بن خطل وقيس بن ضبابة وعبدا بن أبي سرح فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصفة فقال أهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجني في البر غيره اللهم إن لك على عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا صلى ا تعالى عليه وسلم حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما فجاء وأسلم وقيل : متوسط في الكفر لإنزجاره بما شاهد بعض الإنزجار .

وقيل : متوسط في الإخلاص الذي كان عليه في البحر فإن الإخلاص الحادث عند الخوف قلما يبقى لأحد عند زوال الخوف وأياما كان فالظاهر أن المقابل لقسم المقتصد محذوف دل عليه قوله تعالى : وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار والآية دليل إبن مالك ومن وافقه على جواز دخول الفاء في جواب لما ومن لم يجوز قال : الجواب محذوف أي فلما نجاهم إلى البر إنقسموا قسمين فمنهم مقتصد ومنهم جاحد والختار من الختر وهو أشد الغدر ومنه قولهم : إنك لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من غدر وبنحو ذلك فسره إبن عباس رضي ا تعالى عنهما لإبن الأزرق وأنشد قول الشاعر : لقد علمت وأستيقنت ذات نفسها .

بأن لا تخاف الدهر صرمي ولا ختري ونحوه قول عمرو بن معدي كرب : وإنك لو رأيت أبا عمير .

ملأت يديك من غدر وختر وفي مفردات الراغب الختر غدر يبختر فيه الإنسان أي يضعف ويكسر

لإجتهاده فيه أي وما يجحد بآياتنا ويكفر بها إلا كل غدار أشد الغدر لأن كفره نقض للعهد الفطري وقيل : لأنه نقض لما عاهد ا تعالى عليه في البحر من الإخلاص له عزوجل كفور 23 مبالغ في كفران نعم ا تعالى و ختار مقابل لصبار